النقد المعماري بين الموضوعية والذاتية

د. أسماء حسن طه الدباغ

أستاذ مساعد / قسم الهندسة المعمارية

كلية الهندسة / جامعة الموصل

34-08-019 © The University Press 15-35

Architectural Criticism between Objectivity and Subjectivity

Dr. Asma Hasan Al-dabbagh

Abstract:

Architectural criticism is one of the most valuable educational tools for architectural design. Although it is a subjective human product, its objectivity means getting positive judgments connected with the grade of architectural product. This is the research problem whose definitions are concluded in this paper which also demonstrates the causes of the critics' biases. Through application on architectural students at the University of Mosul, the findings proved that architectural criticism is subjective, mainly because the critics deal with aesthetics and symbolic criteria. This paper lays down a set of guidelines to reach objective criticism such as employing different kinds of criteria, linking the project with its context, critical opinions supported by reason, and explicit prejudges. In effect, the evaluating jury may improve validity and professionalism of architectural criticism.

Keywords: Architectural Criticism, Objectivity, Subjectivity, Evaluation.

الخلاصة

يعتبر النقد احد اهم الوسائل التعليمية في مجال التصميم المعماري، اذ اعتمدته العديد من المدارس المعمارية في توجيه الطلبة، واعتبر وسيلة لا تقدر بثمن في هذا المجال، كما يعتبر النقد المعماري نتاجاً انسانياً لا يمكنه التخلص من الذاتية، وهنا تعتبر الموضوعية حالة مثالية مهمة للوصول إلى أحكام ايجابية تخص مكانة الناتج وقيمته مقارنة مع اقرانه. تناول هذا البحث موضوعية النقد المعماري وذاتيته كظاهرة مرتبطة بكل حالات التقييم واطلاق الاحكام عن خصائص الناتج المعماري، سلباً او ايجابا. وسعى البحث من خلال تحليل الادبيات السابقة حول الظاهرة الى تحديد اسباب تحيزات النقاد اثناء النقد واطلاقهم للأحكام حوله. ومن خلال التطبيق على عينة من طلبة العمارة في جامعة الموصل اثناء عملية النقد والتقييم، تبين ان هذه العملية اتسمت بالذاتية والتي جاءت بسبب اللجوء للمعايير الجمالية والرمزية بالدرجة الرئيسة. لهذا اوصى البحث بضرورة اللجوء الى المعايير على اختلاف اصنافها، ومقارنة المشروع بسياقاته الوظيفية والموقعية، ودعم الرأي النقدي بالأسباب والمنطق ليكون اكثر اقناعاً للمصمم وللقارئ على حدٍ سواء، وكشف الأحكام المسبقة، ووجود لجنة تحكيمية اثناء عملية التقييم.

الكلمات الرئيسية: النقد المعماري، الموضوعية، الذاتية، التقييم.

المقدمة:

يرتبط النقد برؤية المبنى وتكوين الافكار عنه ونقلها الى الغير، وقداعتبرت ستيد ان النقد المعماري وسيلة مهمة لا تقدر بثمن في التعليم المعماري. اذ تبرز هنا امكانية صنع تأثير مباشر على الناتج التصميمي، كما ان للنقد دور في توفير فهم افضل للبيئة المبنية مما يقود الى عمارة افضل لزبون ذي قاعدة معلوماتية افضل، فضلا عن مساهمته في الثقافة المعمارية، كما اعتبرت ستيد ان مشاكل النقد المعماري نابعة من الطبيعة الخليطة للممارسة المعمارية. فالعمارة فن ليس كبقية الفنون. فهي تأويلية، كما انها نفعية، وهذا التوتر بين المتطلبات الفنية والوظيفية هو ما يثير التوتر حول معايير التقييم النقدي. فالتقييم وفقا لأسس جمالية قد ينتج نقدا ضعيفا (Stead, 2003). ويرى غاستون باشلار[1] ان على الناقد ان يكون ذاتيا وموضوعيا في ذات الوقت، وان يحلم مع الاثار لا ان يقتصر على رؤيتها حسب (جدو،١٩٩٣، ص٦٤).

فالنقد المعماري يعاني من الذاتية ويفترض الموضوعية، ويتأرجح بينهما وفقا لعدة عوامل مرتبطة بالناقد بالدرجة الرئيسة. لهذه الاسباب جعل هذا البحث من الطبيعة الموضوعية والذاتية للنقد المعماري حقلاً له، ويحاول من خلال الاستعانة بالدراسات المتخصصة في هذا المجال ان يحدد الاسباب التي تجنح بالنقد المعماري ليقترب من احد القطبين الموضوعي أو الذاتي للكشف عن الطبيعة الموضوعية والذاتية للنقد المعماري في واقع الممارسة النقدية الاكاديمية، لكن في البدء سيتم عرض التعاريف ذات العلاقة بحقل البحث.

١- غاستون باشلار Gaston-Bachelard: فيلسوف فرنسي في العلم وناقد ادبي.

التعاريف :

تعريف النقد: عرّفت ستيد النقد أنه القدرة على التمييز، والحكم ببصيرة وتحسس ونزاهة، اكثر من كونه البحث عن الاخطاء، على الرغم من ان الاستخدام اليومي للنقد جعله فعالية مناظرة للسلبية وتجزئة الاشياء، وان النقد الذي يخرج باستنتاجات ايجابية لا يمتلك الكفاءة اللازمة وان كان دقيقا. كما طرحت ستيد مفهوماً مختلفاً عن النقد، كونه ترجمة الشيء المعماري من خلال اللغة، وهو اعادة تكوين الشيء من جديد. فالعملية النقدية تتوغل داخل العمل وتتسع خارجه، لتطرح تأويلا اصليا هيكليا للعمل، اذ ليس من دور النقد توضيح مقاصد المعمار، ولا ان يقيس المبنى مقابل هذه المقاصد(Stead ،٢٠٠٣). اما رامان وكوين فقد ذكرا تعريفا للنقد من منطلق مثالي محافظ هو ايجاد الاخطاء وصيانة الحقيقة او الكشف عنها(Coyne،Raman، ٢٠٠٠). كما عرف شارب النقد بكونه فن الحكم على القيم والخصائص النوعية للشيء، وهو يرى ان النقد فعالية بعدية استرجاعية تعتمد الذاكرة والتداعي وتستعيد الاحداث، ونقل تعريفا للكاتب الانكليزي ماثيو ارنولد؛ فالنقد عنده شيء نزيه لتعلم افضل ما هو معروف ومنظور ونشره في العالم(Sharp،٢٠٠٥).

والنقد المعماري، يتكامل والاجتهاد، وهو حوار متواصل يعمل على تطوير العمل على الدوام، بيد أن له أصولاً وقواعد تراوح بين حرية الفكر الفردي المستقل وبين النظرة الجماعية للقيم والعوامل المجتمعية والثقافية السائدة. فالنقد بتعريف فلسفي مجرد هو "إعادة قراءة للعقلية التي أفرزت الناتج" وليس حكما صارما "رغائبياً" على منتج جامد(السيد،٢٠٠٩).

اذاً يمكن وضع التعريف التالي للنقد المعماري: "اطلاق الحكم على النتاج المعماري ببصيرة ونزاهة، كما انه ترجمة الشيء المعماري من خلال اللغة، لطرح تأويل اصلي هيكلي للنتاج".

تعريف الموضوعية: هي جملة غير منحازة بشكل كامل، لم تؤثر عليها الخبرة السابقة للمتكلم أو تذوقه، وذات مصداقية من خلال الوقائع أو القياسات الرياضية المنجزة. ومن الضروري ان نكون موضوعيين عند صنع قرار عقلاني، او عند مناقشة شيء ماقوي ويمكن لمسه وحمله. كما أن الوقائع التي تكون الجملة الموضوعية يجب ان تكون اشياء صلبة وقوية، مثل الوقائع العلمية لها اثباتات رياضية مدعمة بمعلومات قوية(مانيشا)(Manisha,2011). وتقوَّم والمعرفة كموضوعية عندما تنفصل عن العملية الانسانية، وعليه فان الخبرة والادراك الانساني يشوه مظهر الواقع (ماكلر وسيفن)(Muckler, Seven,1992,p.441).

تعريف الذاتية: على عكس الموضوعية، هي جملة متأثرة بشخصية الكاتب أو المتكلم، ولها في الغالب أساس في الطبيعة، لكنها تعكس منظور الواقع حسب رؤى المتكلم، ولا يمكن إثباتها بواسطة الحقائق

القوية، وتستخدم عند عدم وجود اي شيء ملموس يمكن الاعتماد عليه، وهذا يجعل ادراكنا اكثر امتاعا، او عند مناقشة اي نوع من انواع الفن، يجب الانتباه الى ان اراء كل شخص لكل قطعة ذاتية، لا يمكن الاشارة الى الموضوعات الذاتية. فهي موجودة في اذهاننا وفي ادراكنا السابق، والافكار الذاتية وقتية وترتبط بعدة عوامل قد تتدرج من الوقائع الى الانفعالات، مثل الآراء والتأويلات (مانيشا) (Manisha,2011).

دور الناقد المعماري: يسهب شارب في ذكر المهام الكثيرة التي يمكن للناقد ان يلعب دورا فيها، اذ يرى ان عملية النقد يجب ان تترافق مع اراء الفريق التصميمي لتوضيح الهدف والبرنامج ومتطلبات المستفيد. وهو يقدم الدوافع الرئيسة لطبيعة العمارة والتصميم واساسياتهما، كما يساهم النقاد في بلورة التوجهات في نظرية العمارة والتصميم والنقد، ويرى شارب ان دور الناقد لا يقتصر على جمع المعلومات وانشاء الاحداث حسب، وانما يساهم في الاتصال مع المجتمع والتأثير عليه، والتعبير عن الافكار التي تساهم في نجاح العمل، كما يربط الناقد افكاره لإعطاء معلومات عن المبنى وخلفيته وانشاؤه ومواده، ليصل في النهاية الى جوهر الشيء قيد النقد. ويجب على الناقد التأكيد على علاقة النقد بالمستقبل، ولا يقنع بوضع الاحكام التصنيفية والتأويلات المعزولة للماضي، وللناقد دور في استثارة الافكار واستحضارها حول المبنى والتي تؤثر على طابع البيئة الموجودة (Sharp،2005).

شروط الناقد: يجب ان يكون الناقد لبقا ومرنا ومتحررا من الاحكام المسبقة، كما يجب ان يملك تحسسا جيدا وحكما واضحا. ويجب ان يكون الناقد المعماري معماراً ايضاً، لكي يفهم العمارة ويتمكن من ادراكها، ويفهم كيفية تكونها وجوهر العملية التصميمية، فهو يربط ويفسر طبيعة مشاكل التصميم (Sharp،2005)، كما يفترض ان يمتلك الناقد كمًّا معرفيًّا عن الممارسة المعمارية وتاريخ العمارة ونظريتها وغيرها ليوظف معرفته في مجال النقد، وان يكتب عن العمل والعملية النقدية بطريقة واضحة ودقيقة(ستيد) (Stead،2003).

الدراسات السابقة:

دراسة (أتووين) Attoe, Wayne, 1977

يمثل هذا الكتاب دراسة مستفيضة في حقل النقد المعماري، فالمؤلف يعدد اصناف النقد كما يذكر انواعه كالنقد المعياري والنقد التأويلي والنقد الوصفي، ولكل نوع منها تفريعات ثانوية. اذ بالنسبة للنقد المعياري فانه يقوم على أساس وجود معايير مسبقة كالمبادئ والاعراف، لكنه يتضمن افتراضا غير مختبر وهذا يقلل من امكانية الاختبار الموضوعي لمدى تحقيق المبنى لأهداف توجه ما، كما ان بعض النقاد اوجدوا قواعد لأنفسهم، ليدحضوا المبادئ السائدة عن طريقة ايجاد العمارة، مما قد يسبب تحيزات النقاد في ارائهم النقدية.

اما النقد التأويلي فان خاصيته المحورية هي الذاتية، فهو لا يستند الى مذهب او نظام او نمط، ولا يدعي انه يطلق تقييما موضوعيا مقاسا للعمل. والناقد يسعى لقولبة نظرة الاخرين ليروا ما يراه هو، وهو اما يعطي طريقة جديدة لرؤية العمل بتغيير الاستعارة له، او باستثارة مشاعر المتلقي كما استثاره المبنى، او ينشئ عملا افتراضيا منفصلا مستخدما المبنى كوسيلة. تسمى هذه التقنيات الثلاثة بالتسلسل: النقد الدفاعي، والنقد الاستدعائي، والنقد الانطباعي، وبالنسبة للنوع الاخير فانه يبني صورا محفزة بدلا عن ربط الوقائع مع بعضها، مما يسبب تحيزا عند القارئ، ويجعل التحليل الموضوعي اكثر صعوبة. كما ان الذاتية وغياب المعايير في النقد الانطباعي قد يسبب التشويش على النقاد الذين يسعون لجعل النقد جزءا من عملية تطورية لتحسين تصميم البيئة.

اما النقد الوصفي فيضع اساسا لفهم الاشكال المختلفة للتفسيرات والتوضيحات، وهو لا يبحث عن وضع التقييمات او التأويلات، والناقد يتحيز بفعل اتساع خبرته السابقة واختلاف الخلفية العلمية له وتحسسه للتفاصيل، وقد يؤكد على جوانب ويتجاهل اخرى، وفي هذا الصدد ايضا فان الصور الفوتوغرافية قد تحدث تحيزات على الرغم من كونها مليئة بالمعلومات، اذ قد لا توضح العلاقات بين الاجزاء، بسبب مسافة الكاميرا والمقياس الذي التقطت فيه الصورة.

تطرق المؤلف الى دور استثمار المعايير، والاستناد الى مذهب او نظام او نمط في تحقيق الموضوعية، وبالمقابل فان زيادة الذاتية تتأثر بغياب المعايير، وإيجاد بعض النقاد قواعد خاصة لأنفسهم، واختلاف خلفية الناقد وخبرته وتحسسه. واخيرا فان لاختلاف اوضاع الصور الفوتوغرافية دورا في التسبب بتحيز الرأي النقدي.

دراسة (رامان وكوين) (Raman & Coyne, 2000)

تستعرض هذه الدراسة مجموعة مواقف من موضوع النقد المعماري، والذي استوجب الخوض في نظريات اللغة والتأويل، وقد حدد الباحثان صنفين من النقد هما؛ النقد المحافظ والنقد المتطرف. فالنقد المحافظ يؤمن بالموضوعية، ويحافظ على الفصل بين المعمار والناقد، ومن هذا المنطلق يذكر الباحثان ان الموضوعية مطلب مثالي انطلاقاً من كون النقد فعالية ايجاد الاخطاء، وترجم وهذا المطلب الى مطلب المعايير والمقاييس الموضوعية وفي هذا الصدد، يضم تقييم ادائية المبنى معايير الكفاءة والاقتصادية والملائمة للهدف والاستدامة.

كما أن التأويل الموضوعي مشروع للحفاظ على المعاني وتوصيلها. ويتضمن تأكيد المقصد الاصلي للمصمم وكفاءة التعبير عنه، وهو ما يصطلح عليه في التأويل "بإعادة الانتاج، بمقارنة الوقائع المحددة مع الوقائع الحقيقية، وكشف الاحكام المسبقة. وفي هذا الصدد ذكر الباحثان مسألة مهمة وهي تغير الترميز مع

الزمن وتغير استخدام العناصر مما يستدعي اعادة تعريفها ضمن التأويلات المتطرفة، ويستدرك الباحثان بان الادعاء بوجود طرائق منطقية لإثبات المعنى الحقيقي او التقييم الموضوعي بهذا الخصوص هو موضع شك.

أما النقد التغييري فيتحدى القوانين المحافظة للنقد، ويرى ان نتاج النقد قد لا يكون بالضرورة تقييماً للعمل او مؤلفه، وان المعنى يكمن في الاختلافات الدقيقة، وان عدم ثبات الناقد ناجم عن عدم ثبات اللغة، والتأويل التغييري توسعة حدود اللغة، ويتضمن الحركة غير الحتمية للمعاني، وهو ما يصطلح عليه في التأويل "بالإنتاج"، حيث لا يمكن الوصول للمعنى الاصلي للعمل. ويؤكد الباحثان على اهمية دراسة تأثير السياق في النقد المعماري، وهنا يبرز دور السياق الوظيفي. اذ قد يقدم التصميم ذاته نقدا للأنماط الوظيفية العادية، فيعكس عدم التآلف او عدم التطابق معها، فضلا عن سياقات اخرى ذكرها الباحثان كالسياق القانوني والموقعي، ولهذا فان التحليل البنيوي يتطلب التمييز بين الانماط والمناطق والفترات المختلفة للأبنية.

كما يشير الباحثان الى فكرة جادامر١ عن التأويل البراغماتي، الذي تلعب فيه المعرفة والانطباعات والاحاسيس والخبرة دورا مهما في اي حكم، حيث يكمن المعنى في الاستخدام (التداولية)، لتدخل موضوعات السياق والمجتمع والتطبيق بدلا عن موضوعات الاشارات، وتدخل الاحكام المسبقة أي توقعات المعنى، وهي اسقاطات مشتقة بتأثير الوعي التاريخي والخلفية وطبيعة مجتمع المؤول.

كما ان كادامر طرح مسألة البعد الوقتي بعد الشيء قيد النقد عن المؤول، وهي درجة الانفصال الزماني التي يحتاجها المؤول ليكون فعالا، اذ ان للغة تقاليد حاضرة عنده تتحكم في توقعاته للمعنى، والتأويل حتمي ضمني مقيد بالمعرفة الاجتماعية.

طرحت الدراسة وجهتي نظر مختلفتين، فالنقد المحافظ يؤمن بالموضوعية والتي تتمثل بالمعايير والمقاييس وتأكيد المقصد الاصلي للمصمم. وبالمقابل فان النقد المتطرف يرى ان المعنى الاصلي للعمل لا يمكن الوصول إليه. وفي هذا الصدد فان لدراسة السياق الوظيفي والقانوني والموقعي دورا في التحليل البنيوي النقدي، كما ان لدراسة المجتمع والزمن والوعي التاريخي تأثيرا في موضوعية النقد، واخيرا فان للمعرفة والانطباعات والاحاسيس والخبرة والاحكام المسبقة دورا مهما في اي حكم.

١- هانز- جورج كادامر Hans-Georg Gadamer: فيلسوف أوربي رائد في القرن العشرين، تكمن اهميته في تطويره للفلسفة التأويلية "فن التأويل" الذي بدأ في الحقل القانوني والانجيلي، ثم انتقل الى كل انواع النصوص، ولكل اشكال الفهم الانساني.

دراسة (ستيد ونعومي) (Stead, Naomi, 2003)

اعتبرت ستيد ان النقد المعماري وسيلة مهمة لا تقدر بثمن في التعليم المعماري، اذ تبرز هنا امكانية صنع تأثير مباشر على الناتج التصميمي. اما موضوعية النقد؛ فالموضوعية المطلقة فكرة ميتافيزيقية وربما نظرية، لكن ستيد لم تعتبر ضعف الموضوعية مشكلة، طالما اعتبرت موقفاً ايديولوجياً للناقد، ليزاح دور الناقد والنقد من اطلاق الاحكام الى التأويل، وهنا يصبح الناقد مشتركاً في هيكلة المعنى، بطريقة مشابهة لهيكلة الشكل في الممارسة المعمارية، فالنقد ترجمة الشيء المعماري من خلال اللغة، وهو اعادة تكوين الشيء من جديد. وتخص مسألة موضوعية النقد امكانية وضع قيم مطلقة للعمارة، التي لو امتلكها الناقد الخبير، قد يخرج بحكم حقيقي نهائي عن المبنى، قد يعبر عن هذه القيم بمعايير محددة او غير محددة، يفترض بالناقد الخبير ان يقيم ويخمن ويزن العمل بالمقارنة معها.

وتفترض ستيد ان النقد ضمن الحقل السينمائي يجب ان يأخذ عدة عوامل بنظر الاعتبار؛ كمجموعة اعمال المبدع وتاريخ العمل الخاص والتاريخ الاوسع للثقافة، فضلا عن مقارنة العمل مع غيره ضمن سياقات اخرى لمعرفة مدى تميزه.

كما ذكرت ستيد تأثير النقد المدحي بصورة مبالغة للعمائر ذات الشكل البطولي والاشارات العظيمة، وكذلك تأثير زوايا التقاط الصور والضوء، في التسبب بتحيز القارئ نحو مصالح المعماريين والنقاد التجارية، بالإضافة الى عوامل اخرى تؤثر في تحيز الناقد بشكل كبير، كالأحكام والافكار المسبقة، والتي تعتبرها ستيد مسألة محتومة جاءت نتاجاً للزمان والمكان والثقافة التي يعيش فيها الناقد اكثر من كونها نتاجاً لذاتية الناقد، كما اعتبرتها حيوية لبيان اهتمامات الناقد وقيمه اذا كان الناقد واعيا لتحيزاته مدركا لها، مما يجعله بالتالي ناقدا موضوعيا.

وللتقليل من تحيزات النقاد اشارت ستيد الى اهمية الابتعاد المناسب للناقد عن العمل ليلعب دور الخبير المتفرج. فالنقاد الاكاديميون اكثر موضوعية ضمن المجال المهني المعماريز ويفترض ان يجعلهم هذا منفصلين عن اي الزام ضمني او معلن تجاه المعماريين والمشاهدين.

طرحت ستيد وجهة نظرها عن الموضوعية، فهي عندها فكرة ميتافيزيقية نظرية. مع هذا ذكرت ستيد اهمية دراسة تاريخ المبدع والعمل والثقافة، فضلا عن مقارنة العمل مع غيره ضمن سياقات مختلفة في تقليص الذاتية، بالإضافة الى دور زوايا التقاط الصور والضوء والأحكام المسبقة في التسبب بانحياز النقاد والقراء.

دراسة (شارب) (Sharp, 2005)

هذه المقالة ورقة مقدمة الى الملتقى العالمي حول النقد المعماري الذي اقيم في الكويت برعاية مؤسسة الاغا خان، اكد شارب فيها على اهمية الموضوعية في النقد لان معظم النقد ذاتي، اذ يجب ان يملك الناقد حساً جيدا وحكما واضحا مدعوما بالأسباب والمنطق، ويجب ان ينتج معلومات تأتي مما هو محسوس ومفهوم كعملية لكي يصبح نقده مقبولاً، خصوصاً عند مناقشة مهارات المصمم في توظيف الاشكال والكتل وترتيب الفضاءات بصورة جمالية. وقد صنف شارب المعايير النقدية الى المعايير البيئية والاقتصادية والوظيفية والانشائية والسياسية والثقافية والجمالية، معتبرا اياها وسيلة لتوضيح اهداف موضوعات النص النقدي ومحتواها. أما المعيار الجمالي فقد اولاه شارب اهمية كبيرة لأنه موضوع محوري في العمارة؛ فالتأويلات الجمالية هي اساس النقد المعماري طالما اعتبرت العمارة فنا، ومنها انبعث معظم النقد البناء، وعليها اتكأ الكثير من النقاد كمصدر للأحكام المسبقة. وعملية تحديد الحكم التقييمي للنواحي الجمالية هي الآلية المستخدمة في مناقشات لجان الامتحان.

وفي ذكر المعايير الجمالية، ينقل لنا شارب ان تطبيق المبادئ النقدية صعب فيها، لأنه مرتبط بتعريف جمالية الاشكال والنسق والتناسب، وان دراسات الجمال لم تحدد مبدأً حتمياً مؤكداً للجمال، بالرغم من هذا فان هناك مبادئ تحققه (فالتجانس والتنافر كل له دوره في هذا السياق)، وهناك عوامل تؤثر في ادراكه؛ كموقف الناقد ضمن الاطار الجمالي والمهارات الادراكية له، واختلاف التزامات الناقد وقناعاته (كالالتزام الوظيفي او الالتزام الطرازي مثلا)، واختلاف الوقت والموضة والتذوق، فضلا عن اختلاف وسائل الادراك المرئي عن السمعي والشمي والحراري.

مع هذا، أشار شارب الى ان النظرة التقليدية للجمال تؤكد على الخصائص الممتعة والمألوفة الجماعية، بينما ترى النظرة الحديثة ان الشيء الجميل هو الذي يستدعي تحسسا محددا عند الناظر، او يثيره في المستوى الرمزي، ويستدرك شارب ان الناقد الموضوعي يجب ان يؤكد على الخاصية المتفردة في العمل المدرك.

صنف شارب المعايير النقدية مركزا على المعيار الجمالي، وهو الآلية المستخدمة في مناقشات لجان الامتحان، محددا بعض العوامل المؤثرة في ادراكه.

دراسة الورع، ومأمون والمقرن:

آلية تحكيم مشروعات التصميم المعماري / تقويم درجات المحكمين- دراسة مقارنة"

يعتبر الباحثان ان عملية النقد المعماري نشاط تفهم التصميم، وهو ما يشبه القراءة، وتتطلب هذه العملية فك رموز عملية افكار المصمم، اي عمل تجريد للعلاقات، وربط منتج التصميم ذهنيا بأمثلة اخرى واقعية او مرسومة، وعليه يمكن اعتبارها عملية تحليلية. اما مناقشة مشروعات التصميم فهي تجربة التعليم والتقييم المباشر التي تكسب الطالب خبرة الحياة المهنية، وان مبدأ التحكيم كنموذج تعليمي مقبول من قبل الجميع مبدأ قائم ولكنه غير واضح المعالم، وقد هدفت الدراسة الى توضيح العلاقة بين درجات مجموعة من المحكمين من خلال استكشاف مدى تجانس او تباعد درجاتهم المعطاة لمشروعات طلاب مقرر التصميم المعماري. وقد قسم الباحثان اللجنة التحكيمية الى فئتين هم الاساتذة المشرفون والاساتذة غير المشرفين لاختبار فرضية عدم اختلاف درجاتهم، بافتراض الموضوعية المطلقة لأساتذة التصميم المعماري عند تحكيم مشروعات الطلبة. وتبين نتائج الدراسة ان متوسط درجات الاساتذة غير المشرفين اقل منها عند الاساتذة المشرفين بفارق قد يتراوح بين ثمانٍي الى عشر درجات. ويعزو الباحثان هذا الاختلاف الى عدم حضور الاساتذة غير المشرفين لمناقشات الطلبة، اي عدم وجود المعرفة المسبقة عند هذه الفئة بمستوى الطلبة، كما يعني ايضا ان المعرفة المسبقة عند الاساتذة المشرفين قد تسبب تحيز المقيم لمشروع الطالب.

اعتبر الباحثان ان مناقشة مشروعات التصميم هي تجربة التعليم والتقييم المباشر، وان المعرفة السابقة بمشاريع الطلبة ذات تأثير واضح في تحيز المقيمين.

بعد ان عرف البحث الموضوعية والذاتية واستعرض الدراسات السابقة، خلص الى تحديد اسباب تحيزات النقاد التي تقلل من موضوعية النقد وتزيد من ذاتيته، كما عمد الى تصنيفها كما يتبين في الفقرة التالية:

أسباب تحيزات النقاد:

أ- **غياب المعايير النقدية:** ان مقاييس التصميم ومعايير التقييم التي تركز على خصائص المبنى يمكنها تأكيد الموضوعية في النقد، والمعايير قد ترتبط بمذهب او نظام او نمط، ومنها مقاييس الادائية الوظيفية والمتانة الانشائية والديمومة ومعايير الصحة والامان وحفظ الطاقة والتأثير البيئي والجدوى الاقتصادية، ولكن المحددات والقوانين لا تتناول مقياس الابنية وشكلها وتناسبها وتناظرها او عدم تناظرها، فضلا عن مواضيع اخرى كالطراز المعماري والملائمة مع السياق والتكوين المعماري والابداع الجمالي (Lewis,2009)، وقد حدد Meister (1986) ١٤ معيارا خاصا لاختيار المقاييس وهي؛ الارتباط مباشرة مع المخرجات، امكانية تطبيقه مباشرة في أدائية المهمة، ولا يحتاج إلى

تأويل إضافي، ويعكس أحداث المسألة الجوهرية، وقابل للتعريف بدقة، وموضوعي، وكمي، ومتواضع، وسهل في جمع البيانات، وبدون أدوات متخصصة، وبمستويات ملائمة، وبأدنى كلفة ممكنة، وموثوق، وذو دلالة بالنسبة للباحثين ومتخذي القرار (Muckler,Seven, p.449)، ان عدم تحديد المعايير بصورة واضحة، والتركيز على المعيار الجمالي، قد يسبب التحيز.

ب- **خصائص الذوات الانسانية:** وبهذا الصدد حدد فيصل ان العوامل الذاتية هي العوامل الداخلية المتعلقة بالذات المدركة، والتي تشمل العديد من العوامل كالخبرة والذاكرة، والميول والرغبات، والشعور والحالة النفسية، والعاطفة، والارادة والتركيز، واخيرا دور العادات. وتشير الدراسة الى ان التركيز على العوامل الذاتية لا يكفي لتفسير عملية الادراك، فالعاطفة غالبا ما تحجب عنا الحقيقة، كذلك الامر بالنسبة للانفعالات فهي تصور لنا العالم في غير ما هو عليه، اما الخبرة السابقة فلا يمكن الاعتماد عليها دائما في التعامل مع الاشياء خاصة الجديدة منها(فيصل،٢٠١٠)، واختلاف التزامات الناقد وقناعاته. وهناك عوامل تؤثر في هذه الذوات كاختلاف الوقت والموضة والتذوق، فضلا عن اختلاف وسائل الادراك المرئي عن السمعي والشمي والحراري، واختلاف اوضاع الصور الفوتوغرافية، ودور زوايا التقاط الصور والضوء.

ت- **الاحكام المسبقة:** وهي اما توقعات المعنى من الناقد، او هي الاحكام الناجمة عن المعرفة المسبقة بالمشروع او مصممه.

ث- **القواعد التي اوجدها النقاد لأنفسهم:** كقاعدة فنتوري القائلة (يجب ان تعكس العمارة التعقيد الواقعي للبرنامج وغموض الادراك البصري). وهي قواعد تعطي اتجاها من دون تحديد. وقد يحدث استبدال لقواعد جديدة بالقواعد القديمة.

ج- **المعتقدات الخاصة بالناقد ووجهة نظره:** وتكون مصدرا مستمرا للجدل، ويتهم الناقد احيانا بالتعصب والتقيد لها، وترتبط بتفضيلات الناقد؛ من مثل تفضيل الناقدة هكستابل لرؤية بعض المباني المتميزة، او تفضيل الناقد رسكن لرؤية الزخرفة كمكون اساسي للعمارة.

ح- **نظرة العالم:** وهي الطرق الجوهرية لرؤية الاحداث في العالم كالافتراضات والبديهيات، والتي قد يثبت خطؤها، مثلا:

- يجب ان تعبر العمارة عن السمات الوطنية او المحلية.
- يجب ان تكون العمارة نتاجا للتغير في روح العصر.
- يتم تغير الطرز المعمارية بعملية دورانية مثل دورة الحياة العضوية (أتو) (Attoe,1977).

خ- **تجاهل السياقات المختلفة في التحليل البنيوي:** كالسياق الوظيفي والموقعي والثقافي والسياسي وغير ذلك.

من مجمل ما تم عرضه من دراسات تناولت الموضوعية والذاتية في النقد المعماري. وبعد ان حدد البحث الاسباب التي تؤدي الى تحيز النقاد في اطلاقهم للرأي النقدي، صار بالإمكان استخلاص الجوانب المحددة للموضوعية والذاتية. راجع الجدول رقم (١)، وهو ما سيستثمر في الدراسة العملية للكشف عن الطبيعة الموضوعية والذاتية للنقد المعماري في واقع الممارسة النقدية الاكاديمية، وتحديد اسباب تحيز النقاد في هذا السياق ان وجدت.

الدراسة العملية:

سعى البحث الى تطبيق الجوانب المحددة للموضوعية والذاتية في النقد المعماري المحددة آنفا بهدف "الكشف عن الطبيعة الموضوعية والذاتية للنقد المعماري في واقع الممارسة النقدية الاكاديمية"، استناداً الى فرضية "ان النقد المعماري في السياق الاكاديمي يجنح الى احد القطبين الموضوعي أو الذاتي لجملة من الاسباب". وتم التطبيق اثناء اجراء عملية النقد المعماري والتقييم لمشاريع الطلبة في مادة التصميم الحضري (مشروع تطوير مسارات المدينة القديمة) للمرحلة الخامسة في قسم الهندسة المعمارية/ جامعة الموصل، وجاء هذا التخصيص لاستبعاد تأثير طبيعة المشروع التصميمي على موضوعية النقد وذاتيته، فضلاً عن استبعاد تأثير المرحلة الدراسية للطلبة، وتم اجراء التطبيق من خلال الاستعانة بالاستمارة (في الملحق) التي تم توضيحها للهيئة التدريسية القائمة بالنقد والتقييم، وقام الباحث بإدخال بيانات الاستمارة اثناء حضوره جلسات النقد والتقييم، وذلك تجنباً لتحيز النقاد الغير واعي تجاه قراراتهم. وكون الباحث جهة مستقلة محايدة قادرة على فهم النقد وتحليله وفقاً للجوانب التي تم تحديدها مسبقا في هذا البحث. ومن خلال عملية النقد والتقييم تم رصد ٩٥ حالة نقدية لمجموعة من الطلبة يبلغ عددهم ٢٠ طالبا، ومن قبل مدرسي المادة البالغ عددهم ٤، والمتشابهين في العديد من الخصائص الذاتية كالخبرة والتخصص لتجنب الفوارق الشخصية في التقييم بقدر الامكان. كما تتشابه ظروف مشاهدة المشاريع من هؤلاء المدرسين، فضلاً عن الاتفاق المسبق لهم على التوجهات والاهداف للمشروع التصميمي الحضري، والذي يؤثر على المسار التصميمي لمشاريع الطلبة، ومن ثم على طبيعة النقد الموجه لها، وتم استخراج النتائج من خلال حساب عدد الحالات لكل متغير ثم حساب النسبة المئوية لكل منها.

النتائج :

اولا: نتائج قياس متغيرات الجوانب الذاتية: تبين النتائج انه تم التطرق لتاريخ الطالب في ١٥% من حالات الطلبة، وهي نسبة تعد قليلة وبالتالي يؤثر ضعفها في زيادة الذاتية، وان الناقد يستند الى قواعده الخاصة بنسبة ٣٧% من الحالات النقدية، والى معتقداته الخاصة بنسبة ٢٣% من الحالات النقدية، والى الافتراضات العامة بنسبة ٢٢% من الحالات النقدية، وخصوصا التأكيد على الاهتمام بالهوية المحلية وابرازها. وجاءت بمجموعها بنسبة ٨٢%، وهي نسبة عالية مما يعني ميلا واضحا لاعتماد الناقد على الجوانب غير القابلة للقياس العلمي. ويشترك المقيمون في تأويل المشروع وطرح معان جديدة له بنسبة ٢٥% من الحالات النقدية (الجدول رقم ٢).

ثانيا: نتائج قياس متغيرات الجوانب الموضوعية: تبين النتائج ان مقارنة الطالب مع اقرانه تم في ٥% فقط من حالات الطلبة، وهي نسبة قليلة جدا على الرغم من اهمية اجراء هذه المقارنة للوصول الى تقييمات عادلة قدر الامكان. وتم مقارنة المشروع مع السياق الوظيفي في ١٠% من حالات الطلبة، بينما تم مقارنة المشروع مع السياق الموقعي في ٧٠% من حالات الطلبة، وهي نسبة متوقعة بسبب طبيعة المشروع الحضري. كما جاء النقد المدعوم بالأسباب والمنطق بنسبة ٦٨%، وجاء استثمار المعايير والمقاييس في التقييم بنسبة ٩٨%، وهي نسبة وان بدت كبيرة فقد ركزت على المعايير الجمالية/ الرمزية بنسبة ٨٥%، مما مثل ابتعادا واضحا عن الاسس العلمية للتقييم الاكاديمي عموما والمعماري خصوصا، والوظيفية/ الانشائية بنسبة ١٤%، والسياسية/ الثقافية بنسبة ١% (الجدول رقم٣).

الاستنتاجات:

يمكن للبحث ان يستنتج انه على الرغم من استثمار المقيمين العالي للمعايير والمقاييس في التقييم، فإن التركيز العالي ايضا على المعايير الجمالية/ الرمزية، وهي من الجوانب الذاتية في النقد، جعل التقييم يتسم بالذاتية العالية مبتعدا بهذا عن الاسس العلمية للتقييم الاكاديمي. ولهذا حاول المقيمون اللجوء الى قواعدهم ومعتقداتهم الخاصة لتبرير قراراتهم (كالاعتراض على تعقيد الواجهات او تجريدها بافتراض ضرورة التوجه المعاكس في الحالتين، او الاعتراض على التوجه التقني او التوجه الشكلي التغييري)، فضلا عن الاستناد للافتراضات العامة لإضفاء الصفة الشرعية عليها (كالتأكيد على اهمية تجسيد الهوية المحلية وروح المكان واحترام السياق التقليدي). ومما يعزز هذا الاستنتاج ضعف مقارنة الطالب مع اقرانه، وضعف مقارنة المشروع مع السياق الوظيفي، اما مقارنته مع السياق الموقعي فقد جاء بسبب طبيعة المشروع الحضري نفسه، وهو تطوير مسارات المدينة القديمة.

الاستنتاج العام:

ان المعـايير الجمالية/ الرمزيـة هـي المعـايير المهيمنـة علـى النقـد المعمـاري، وهـو مـا اكـده (Dennis Sharp)، ومنها انبثق معظم النقد البناء. وتبقـى الذاتيـة مهيمنـة علـى النقـد المعمـاري طالمـا اعتبرت العمارة فنا، ولكن يمكن الارتقاء بموضوعية النقد من خلال الاستناد الى المعايير ومقارنـة المشـروع بسياقاته الوظيفية والموقعية، ودعم الرأي النقدي بالأسباب والمنطق لتكون اكثر اقناعا للمصـمم وللقـارئ على حد سواء، وليكتسب النقد المصداقية المطلوبة ليصل الى المستوى المقبول من المهنية.

التوصيات:

جاءت توصيات البحث للارتقاء بمستوى موضوعية النقد، على الرغم مـن اعتبارهـا حالـة مثاليـة، وابتعاده المفترض عن الذاتية، وتمثلت التوصيات بما يأتي:

أ- اعلان الموقف والرأي من الناقد، ودعمه بالأسباب والمنطق.

ب- اعتماد المعايير النقدية بمختلف اصنافها.

ت- مقارنة المشروع بسياقاته المختلفة، ومقارنة المصمم بأقرانه.

ث- كشف الاحكام المسبقة من قبل الناقد عن المصمم او التصميم او ظروف العملية التصميمية.

ج- ضرورة انفصال المقيم مهنيا عن العمل التصميمي.

ح- وجود لجنة نقدية أو تحكيمية اثناء عملية التقييم للمشاريع.

المصادر

1. Attoe, Wayne "Architecture and Critical Imagination" John Wiley & Sons, 1977
2. Lancaster, Denny "Influencing Objectivity and Subjectivity Through Award Program Criteria" Influencing Objectivity and Subjectivity Through Award Program Criteria. 22 May. 2006 EzineArticles.com. <http://ezinearticles.com/>.
3. Lewis, Roger "Evaluating Architecture: Objective or Subjective" Washington Post, 18/5/2009 .
4. Manisha, Kumar. "Difference Between Objective and Subjective." DifferenceBetween.net. September 6, 2011 http://www.differencebetween.net/language/difference-between-objective-and-subjective/
5. Muckler, Frederick A. and Seven, Sally A. (Selecting Performance Measures: "Objective" versus "Subjective" Measurement) The Human Factors Society, Inc. 1992
6. Sharp, Dennis "Criticism in Architecture" Architectural Criticism and Journalism: Global Perspective, International Seminar, Kuwait, Dec. 2005
7. Stead, Naomi "Three Complaints about Architectural Criticism" November/ December, 2003, Architecture Australia, vol. 92 no 6 (pp. 50-52).

٨. السيد، وليد "قراءات فلسفية في واقع التعليم الأكاديمي والمعماري العربي المعاصر"، ٢٠٠٩

٩. الورع، مأمون بدر الدين و المقرن، عبد العزيز بن سعد بن حمد "آلية تحكيم مشروعات التصميم المعماري/ تقويم درجات المحكمين- دراسة مقارنة"، مركز البحوث بكلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود.

١٠. جدو، ينار حسن "المذاهب الفكرية الحديثة والعمارة– بحث في مناهج النقد المعماري" دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٩٣

١١. فيصل، جحلاط "العوامل الذاتية و العوامل الموضوعية في الادراك" ١٥/ ٣/ ٢٠١٠، منتديات الجلفة.

الجدول رقم (١) الجوانب المحددة للموضوعية والذاتية في النقد المعماري اعداد: الباحث

الجوانب الموضوعية	مقارنة المشروع مع السياق الوظيفي
	مقارنة المشروع مع السياق الموقعي
	النقد المدعوم بالأسباب والمنطق
	استثمار المعايير والمقاييس في التقييم
	نوع المعايير التي يقيم المشروع بموجبها
الجوانب الذاتية	التطرق لتاريخ المصمم
	الاستناد الى القواعد الخاصة للمقيم
	تأثير المعتقدات الخاصة للمقيم (وجهة نظره)
	الاستناد الى الافتراضات العامة
	اشتراك المقيم في تأويل المشروع

الجدول رقم (٢) نتائج قياس المتغيرات المرتبطة بالذاتية

تاريخ الطالب	الاستناد الى القواعد الخاصة للمقيم	تأثير المعتقدات الخاصة للمقيم (وجهة نظره)	الاستناد الى الافتراضات العامة	اشتراك المقيم في تأويل المشروع
٣	٣٥	٢٢	٢١	٢٤
% ١٥	% ٣٧	% ٢٣	% ٢٢	% ٢٥
	% ٨٢			

الجدول رقم (٣) نتائج قياس المتغيرات المرتبطة بالموضوعية

مقارنة الطالب مع اقرانه	مقارنة المشروع مع السياق الوظيفي	مقارنة المشروع مع السياق الموقعي	النقد مدعوم بالأسباب والمنطق	استثمار المعايير في التقييم	نوع المعايير التي يقيم المشروع بموجبها		
					جمالية/ رمزية	وظيفية / انشائية	سياسية / ثقافية
١	٢	١٤	٦٥	٩٣	٨١	١٣	١
% ٥	% ١٠	% ٧٠	% ٦٨	% ٩٨	%٨٥	%١٤	%١

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه الاستمارة تهدف الى قياس بعض المتغيرات في عملية تقييم مشاريع التصميم المعماري لأجل الوصول الى تحديد الجوانب الموضوعية والذاتية في النقد المعماري ..

د. أسماء حسن

اسم الطالب	المرحلة	المشروع التصميمي

تاريخ الطالب	مقارنة الطالب مع اقرانه	مقارنة المشروع مع السياق الوظيفي	مقارنة المشروع مع السياق الموقعي

عضو الهيئة التدريسية (المقيم)	الشهادة	الخبرة (عدد السنوات في التدريس)

هل النقد مدعوم بالأسباب والمنطق؟	هل يستثمر المعايير والمقاييس في التقييم ؟	نوع المعايير التي يقيم المشروع بموجبها	هل يستند الى قواعده الخاصة ؟	هل تؤثر معتقداته الخاصة ؟ (وجهة نظره)	هل يستند الى افتراضات عامة ؟	هل يشترك المقيم في تأويل المشروع؟

نوع المعايير: مثل البيئية / الاقتصادية ... الوظيفية / الانشائية ... السياسية / الثقافية ... الجمالية / الرمزية .

- القواعد الخاصة: كقاعدة فنتوري القائلة (يجب ان تعكس العمارة التعقيد الواقعي للبرنامج وغموض الادراك البصري).
- المعتقدات الخاصة (وجهة نظره): كمثل تفضيل الناقدة أدا لويس هكستابل لرؤية بعض المباني المتميزة في المدينة.
- الافتراضات العامة: مثلا (يجب ان تعبر العمارة عن السمات الوطنية للبلد).